

المكان كأداة للوصل والفصل

تحليل ثقافي في جدلية التشكيل المعاصر للحياة الاجتماعية

Place as a tool for connecting and separating- A cultural analysis in the
dialectic of the contemporary shaping of social life

منى زاهد سويلمي*، زميل جامعة جنوب ويلز، mona.suilmi@southwales.ac.uk

تاريخ النشر: 2022/06/15

تاريخ القبول: 2022/05/30

تاريخ الإرسال: 2021/10/13

ملخص:

إن المكان ليس ذلك الإطار الفيزيائي الذي يشغله الإنسان فقط. إنما هو كل ما يكونه ذلك المكان في الإنسان أيضاً من ارتباطات مكانية؛ حتى بعد مغادرته يبقى المكان عالماً داخله. في هذا البحث المكان هو ما يتميز بثلاث سمات هي (التاريخية والعلائقية والهوياتية)؛ معبراً عن المكان الأنثروبولوجي حب مارك أوجيه. فكيف يكوننا المكان ونكونه؟ وما هي الارتباطات العلائقية به؟ وكيف يصبح شكل الهوية خلال تفاعلها مع المكان في الواقع المعاصر؟ ليتضح أنه اليوم لا يمكن أن نطلق على الأماكن أنها أنثروبولوجية. ذلك بسبب تأثيرات الحداثة التي أدت إلى انقطاعات عن تاريخيته وتركيزها على اللحظة الراهنة. كذلك العلاقات بدأت تتأثر بالتركيز على الذات بشكل أكبر من التركيز على الآخر، والهوية قد أصبحت خلاقية أي مزيج من مكونات المكان واللامكان، وبالتالي فإن الحياة الاجتماعية اليوم تشكل واقعاً هجيناً بين الأمكنة واللاممكنة. بالاعتماد على منهج التحليل الجدلي الثقافي سعى البحث إلى فهم التشابكات المكانية/اللامكانية في واقع الحياة المعاصر المتغير بشكل سريع، ويخرج عن قدرتنا على فهمه والسيطرة عليه.

الكلمات المفتاحية: المكان، اللامكان، التاريخ، العلاقات الاجتماعية، الهوية.

* المؤلف المرسِل.

Abstract:

The place is not only that physical framework that the human occupies. but it is all that this place creates in the human as well from monuments, memory, and spatial connections. Even after the human leaves that place, the place remains stuck inside him. What is meant by place in this research is the anthropological place according to Marc Augé, which is characterized by three characteristics (historical, relational, and identities). How does the place create and shape us? What are the relational links to it? How does the identity form during its interaction with the place in contemporary reality? It becomes clear that today, places cannot be called anthropological, because of the influences of modernity that led to breaks from its historicity. Relationships are also beginning to be affected by focusing on oneself more than focusing on the other. Identity has become a crossbred. This is based on the method of cultural dialectical analysis to understand the spatial/non-spatial entanglements in the reality of contemporary life. It changes rapidly and is beyond our ability to understand and control

Keywords: Place, Non-place, History, Social relationship, Identity.

مقدمة:

"إن العالم اليوم على عجل، وإنه ليقترّب من نهايته" (جدنز، 2003) عبارة افتتح بها أنتوني جدنز Anthony Giddens كتابه الصادر عام 2000، الذي كان عنوان ترجمته العربية "عالم جامح- كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا". هي مقولة لأحد الأساقفة في مدينة يورك البريطانية عام 1014 يعبر من خلالها عن شعور الناس بالقلق في ذلك الوقت، ويتساءل هل فعلاً القلق الذي نعيشه اليوم هو نسخة من ذلك القلق السابق؟ وهل فعلاً عالم اليوم مختلف حقاً عن عالم الأمس؟ أم هو عالم متصل ومتحرك ومندمج رأسياً عبر الأزمنة، وأفقياً عبر الأمكنة؟

في هذا العالم المتعجل يكتسب المكان وحيز تحركنا داخله وخارجه أهمية خاصة تتجاوز فكرة أن المكان هو الجغرافيا فقط. لاسيما في عصر الحداثة سريع التغير والتبدل. ومواكبة سرعته أكبر من قدرتنا نحن البشر على التكيف؛ إذ بقدر ما تزيد فيه الابتكارات التي تجعل حياة الإنسان أسهل يزيد في الوقت

ذاته الانفصال عن التفاعل الإنساني. هذا بعد ذاته يكون بنية اجتماعية جديدة أبرز ما يميزها المخاطرة التي يصعب تجنبها. مما يفرض علينا فهمها حتى نتمكن من العيش في "مجتمع المخاطر" وهو المصطلح الذي قدمه عالما الاجتماع الألماني أولريش بيك، والبريطاني أنتوني جدنز.

مع عولمة الأخطار وعالمية المخاطر يصبح الأمر أكثر صعوبة وخطورة في البلاد ذات البنى الهشة. خاصة تلك التي تعاني حروباً على أرضها. فتصبح الأخطار مضاعفة والمخاطر التي يعيشها سكان تلك البقعة من الكون ذات بعد إنفاثي؛ لا ينجو منها إلا الأقدار على التكيف مع الخطر. لقد كشفت جائحة كوفيد 19 عن هشاشة الأمن الصحي في المجتمعات ذات أنظمة الرعاية المتقدمة، التي كانت تقدم وقاية جماعية من المخاطر. لذا فإن الخطر يكون مضاعفاً على المجتمعات التي لا تمتلك بنية للأمن الاجتماعي والسياسي والصحي أساساً. فالإنسان اليوم مهدد في كل مكان. حتى أن استخدام تقنيات الحماية عن بعد كالكاميرات، ومراقبة حركة الأفراد، وأجهزة الفحص في مداخل المجمعات التجارية والبنوك والشركات والمؤسسات... إلخ؛ لم تكن كافية للحد من الخطر، لكنها في الوقت ذاته تغذي الخوف من الآخر، بل من كل ما هو متحرك.

هنا يلعب عامل الزمن وتقدمه دوراً مهماً في تلك الأخطار مما فتح المجال أن تصبح التكنولوجيا أكثر تطوراً وتحكماً في حياة البشرية. هذا الجانب يمثل البعد الرأسي للمخاطرة. أما المكان فيمثل البعد الأفقي لها. فمن خلال سرعة التطور التقني، وحركة التنقل السريع للبشر، والمعرفة التي تمثلها تقنية ضغط الأزرار التي تعمل على تسريع كل ما في الحياة؛ يتداخل أثر البعدان معاً. فيزيد من سرعة انتشار الخطر وشموليته. ومع تغيرات العصر تغير المكان أيضاً من مفهوم المكان الصلب وإمكانية تحديده إلى سيولته وصعوبة ضبطه. فمثلاً إن كانت الهجرة (الشرعية وغير الشرعية) هي نوع من الحراك البشري المكاني الذي يبحث من خلاله البشر عن فرص أفضل للحياة- بغض النظر عن الأسباب الجاذبة أو النابذة للهجرة هنا- تغير إدراك مفهوم المكان. فعندما يكون المهاجر معلق المصير بين الحياة والموت خلال رحلة الموت الخطرة تتغير علاقته بالحيز، الذي يشغله أثناء الرحلة وبعد وصوله (المهجر). على اعتبار (إن الحيز هو أسلوب يعكس استخدام المكان وتوزيع ملامح البناء الاجتماعي والأسلوب الذي تعكس من خلاله المفاهيم والتصورات الفلسفية والكوزمولوجية ومضامينها الإيكولوجية، وأسلوب التحكم في المكان لخدمة أغراض الاتصال) (سميث، 2009). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المكان الذي يدركه ويحمله المهاجر في ذاكرته (الوطن) يتغير؛ فضلاً عن التغيرات في الحيز الذي يوجد فيه وحده أو مع الفاعلين الآخرين في الوطن أو المهجر. لهذا يختلف المكان لدى الفاعلين الاجتماعيين على المستوى المدرك والمستوى المعاش وفق حركية الفاعل وصورته الذهنية عن الأماكن ليكون (المكان حكماً فيصلاً بالغ القوة والتأثير) (بليج، 2018).

إن عنصر المكان لا يقتصر على الجغرافيا، وإنما يشتمل على كل ما هو إنساني. كما يعبر المكان عن العلاقة الجدلية بينه وبين الإنسان كفاعل اجتماعي- ثقافي يعيش ضمن ذلك الحيز، كذلك تتشكل داخله استجابته النفسية وسلوكه الاجتماعي، بحيث ينعكس المكان كمفهوم في إدراك الإنسان. فالمكان فضاء هجين من خلال إعادة نقش الذاكرة الثقافية ومواقع الفاعلية السياسية أيضاً (بابا، 1994). وبذلك فالمكان يعطي معنى للوجود، ويضيف للبعد النفسي- الاجتماعي بعداً ثقافياً وآخر سياسياً.

من خلال عوالة الأماكن والأزمدة تكتسب آليتي الوصل والفصل معنى جديداً ومختلفاً أيضاً. ف (التواصل من الناحية الأنثروبولوجية هو إنجاز ثقافي أي هو سلوك ثقافي) (وينكن، 2018). تعبر تلك التفاعلات عن مكون التواصل عبر التفاعل والاتصال النفسي- الاجتماعي والثقافي المباشر، وهذا ما يمثل العلاقات الاجتماعية، التي تحولت مع سرعة التقدم التقني وسيولته إلى شبكات اجتماعية مبنية على التواصل الافتراضي أو الانفصال الاجتماعي، حيث أن أهم ما يميز تلك الشبكات افتقادها إلى العمق في كثير من الأحيان؛ إذ يفعل التواصل بضغطه زر (قبول)، ولتعطيل أو إيقاف هذا الفعل والتخلي عن أي علاقة غير مرغوبة يكفي الضغط على زر آخر (الإلغاء أو الحظر). فبين الوصل والفصل نظام اجتماعي جديد يتشكل "مكانياً/ لامكانياً". وبين المكان واللامكان تتغير المجازات التفاعلية للفاعلين الاجتماعيين وعلاقاتهم المكانية، مما يدفع إلى التساؤل الأساسي في هذا البحث حول ذلك المكون الإشكالي (المكان). كيف يتكون ويكوننا أنثروبولوجياً عبر تاريخيته وماهي ارتباطاته بالفاعلين الاجتماعيين علانقياً وهوياتياً ، وهل هو ذاته اللامكان؟ من خلال ذلك يطرح البحث الأسئلة التالية:

- (1) ما هو شكل العلاقة بين المكان وتاريخيته؟
- (2) ما التغيرات التي تطرأ على العلاقات في المكان؟
- (3) كيف يتجلى سؤال الهوية بين المكان واللامكان؟

يستند البحث الراهن لإطار نظري، إلى مقولة الأنثروبولوجي الفرنسي مارك أوجيه بأن الأماكن تمتلك ثلاث خاصيات هي تاريخية وعلائقية وهوياتية. حيث يحدد المكان من خلال تلك الخاصيات. بمعنى أن كل مكان لا يمكن وصفه بأنه تاريخي وعلائقي وهوياتي هو لا مكان. منطلقاً من فرضيته التي يدافع عنها هنا التي تقول إن: "الحداثة المفرطة تنتج اللأمنكة"؛ أي الأماكن التي ليست أنثروبولوجية. لا تدمج الأماكن القديمة فعندما تؤرشف هذه الأماكن وتصنف ويخصص لها "مطرح في الذاكرة" فإنها تشغل فيها مكاناً محدداً نوعياً (أوجيه، 2018).

يستخدم مارك أوجيه مصطلح المكان الأنثروبولوجي للدلالة على البناء المادي والرمزي للحيز، الذي لا يستطيع بمفرده التعبير عن تقلبات الحياة الاجتماعية وتناقضاتها. إضافة إلى أن المكان

الأنثروبولوجي هو بالتناوب مبدأ دلالي بالنسبة إلى ساكنيه، ومبدأ وضوح بالنسبة إلى من يراقبه. لذا يمتلك المكان الانثروبولوجي مقياساً متغيراً (أوجيه، 2018). حسب الفاعلين الاجتماعيين، ومواقعهم التفاعلية مع المكان.

على المستوى المنهجي، يركز البحث على التحليل الجدلي-الثقافي، الذي يساعد في فهم الظواهر المتشابكة العوامل وذات التأثير المتبادل. فالبعد الجدلي في هذا التحليل يقوم على فهم حالات الترابط والتداخل، بغرض الوصول للمعرفة القائمة على التفاعل الداخلي بين الأسباب المحركة، والدافعة للتغير. كذلك إدراك التأثيرات الخارجية المؤثرة في التحولات العلاقاتية والتفاعلات المنتجة للقضايا المعاشة بشكل حياتي ويومي من خلال فهم كلي وشامل، عبر التحليل والتركيب والتفسير.

أما فيما يخص البعد الثقافي من التحليل، فإنه يعمل على فهم التفاعلات في المجتمع، ودراسة التغيرات السريعة والمتداخلة بين المحلي والعالمي؛ وفق أليتي الاتصال والانفصال لتعبر عن السياق، الذي يتم فيه إنتاج- تفاعل- تداخل التغيرات لفهم ديناميكيتها. لذا فإن هذا التحليل ببعديه الجدلي والثقافي يساعد في فهم تغيرات المكان الانثروبولوجي، وفق هذه منهجية جدلية ثقافية.

1. المكان تاريخياً

إننا لا نعرف المستقبل إلا بما نسقطه عليه من الماضي. بهذا المعنى فإن التاريخ هو كل ما نملك (غاديس، 2016). فلا يحدث التقدم إلا من خلال نقل خبرات الماضي إلى الحاضر، التي تتراكم مكونة اتصالاً معرفياً. مما يساهم في فهم الحاضر والتحكم في المستقبل. كما ويحدد مارك بلوك هدف التاريخ بأنه الإنسان. الإنسان الكلي. في أبعاده المتعددة. في بعده الأنثروبولوجي الذي هو موضوع الأنثروبولوجيا التاريخية. وفي بعده الاجتماعي (الناس في المجتمع) وهو موضوع التاريخ الاجتماعي، والتاريخ وفق هذا التعريف، ليس حديثاً، وليس تجريبياً (كوثراني، 2012). أي أنه يرفض التاريخ الذي يمثل بالإنسان. فالتاريخ الحقيقي يهتم بالإنسان ككل متكامل، بجسده وإحساسه وليس فقط بأفكاره وتصرفاته، وذلك بمجهود شامل للوصول إلى الكينونة الاجتماعية والمكانية والزمانية للإنسان. بحيث يتكشف الخاص العام، الماضي والحاضر، النفسي والاجتماعي في ألفة وحميمية بينية أو خالوية، لتربط عوالم الحياة هذه من خلال زمنية بينية توفر ما هو ضروري للسكنى في وطن؛ في الوقت الذي تقدم فيه صورة لعالم التاريخ، ويمد جسراً بين البيت والعالم (بابا، 1994). أي بين المحلي والعالمي.

الذاكرة وتاريخية المكان:

يعمل الماضي أثناء تذكره على إعادة صياغته من جديد، أي إعادة تركيبه في الذكرى. بهذا المعنى فإن الماضي ليس موجوداً بذاته، وإنما ينشأ بالقدر نفسه الذي ينسب الإنسان نفسه إليه ويتصل معه، ولكي يتصل الإنسان بالماضي، لا بد أن يكون الماضي حياً في الشعور. وهذا يفترض وجود شرطين: أن لا يكون الماضي قد انمحق تماماً: بمعنى أنه لا بد من وجود شواهد ودلائل من الماضي. وأن هذه الشواهد لا بد أن تظهر اختلافاً مميزاً لها مع الحاضر (ياسمن، 2003).

لذا فإن الذاكرة لا تعتمد على جودة الدماغ فقط، وإنما تتعلق بجسم الإنسان والمباني التي يتعامل معها، لأنها نتاج لتجارب الجسم في الفراغ الفيزيائي وتتعلق جودتها بقدر جودة الأبنية (سعيد، 2020). والعمق التاريخي مطلوب بمقدار الانفتاح على الخارج كما لو أن الأول ضروري ليوافق الآخر (أوجيه، 2018). فالتاريخ هو تمثيل للماضي، والتذكر هو عملية إعادة بناء الماضي بمساعدة الحاضر. (سعيد، 2020). معنى ذلك أن يكون الماضي حاضراً في صروح وأبنية موجودة وباقية في الحاضر شاهدة عليه، وحاضراً أيضاً عبر الكتب والمؤلفات والمخطوطات الباقية، مكونة ذاكرة حية يتم الرجوع إليها لاستذكار ذلك الماضي. مما يجعل الذاكرة التاريخية نابضة بالحياة، حيث يتجاوز مكون الذاكرة الحية من الماضي مع الذاكرة الجديدة التي يتم بنائها في الحاضر؛ لتعيش في المستقبل عبر الصروح والأبنية المعاصرة. فما يكتب في الحاضر عن التاريخ سيصبح ذاكرة في المستقبل. بهذا لا يوجد ذاكرة بدون عملية التواصل والتفاعل مع الآخرين أو التواصل مع اللحظة الزمنية.

يقابل تأسيس الذاكرة في الزمان تأصيل آخر في المكان، ويقصد به المكان الحي أو المعاش من خلال ما يمثله البيت بالنسبة للأسرة وتمثله القرية والوادي بالنسبة للمجتمع الريفي، وتمثله المدن بالنسبة لسكان المدينة: هذه كلها أطر مكانية للذاكرة، تجعل منها الذاكرة "وطناً"، حتى في غياب هذه الأطر فإن كل ما يحيط بالإنسان الفرد "بالأنا" في عالم الأشياء، وكل ما يمتلكه منه يتبع المكان المحيط المادي الذي يمتلكه الإنسان باعتبار أنه يمثل الركيزة التي تستند إليها ذاته وهويته. وعالم الأشياء هذا بما يحتويه من أجهزة وقطع أثاث وغرف وترتيبها المميز لها، والذي يمنحنا صورة من صور الثبات والاستمرار (ياسمن، 2003).

إن العلاقة مع المكان وتذكره خاصةً بعد تركه (أو الإجمار على تركه) تنطوي على الكثير من الحنين. ذلك الحنين يشبه تماماً صورة المكان عند مسن عاش بمكان ما وما يزال يعيش فيه، لكنه ليس كما عرفه لشدة تغيراته، أو كشخص غادر مكانه ليعيش في مكان آخر. كلاهما يمتلكان الارتباط العاطفي والنفسي بالمكان الذي ينشأ لتلافي القطيعة الوجدانية مع المكان. إما بسبب تغيره في حالة المسن أو بسبب تركه كما في الحالة الثانية، وكأن الحنين والذاكرة تشكل عودة مقصودة (لكن لاشعورية) إلى الماضي

لإغلاق الفجوة أو القطيعة في حالة الاغتراب أو الغربة عن المكان. مما يساعد في الحفاظ على الجانب المتوازن في الشخصية الفردية- الاجتماعية. فمن منا لا يتذكر مكان ولادته، ومكان لعبه، ومدرسته، وكيف يقضي فراغه في بيته، أو قريته، أو مدينته؛ ومع البعد (السفر، أو الهجرة، أو التهجير) يصبح فعل التذكر مساحة مريحة comfort zone للفرد تعطيه نوعاً من الاستقرار، لأنها تجعله دائماً على اتصال بالمكان الأول أي الارتباط بالجذور التي نبت فيها. فإذا كان قد رحل فذلك لأشياء رفضها كالقمع والتضييق الأمني والفقر وانعدام الفرص، وكثيراً ما يصاحب هذا الرفض الشعور بالذنب بسبب الأهل، الذين يشعر المرء أنه تخلى عنهم، والبيت الذي ترعرع فيه، والكثير من الذكريات الجميلة، وكذلك بسبب الجذور التي تبقى قوية؛ جذور اللغة والدين، وكذلك القول بالنسبة إلى الموسيقى ورفاق المنفى والأعياد والطعام (معلوف، 1999).

يرى بيير نورا إننا في مطارح الذاكرة نتعلم بشكل أساسي كيف نعرف اختلافنا، ونتعرف إلى الصورة التي لم نعد نظهر بها. فساكن المكان الأنثروبولوجي يعيش في التاريخ ولا يصنعه (أوجيه، 2018). وخلافاً للنقطة الأخيرة في رأي نورا فإن ساكن المكان الأنثروبولوجي يعيش في التاريخ ويصنعه، فمن خلال الاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل، وجملة العمليات الاجتماعية والثقافية التي يتفاعل معها الإنسان في المكان يصنع ذاكرته عبر حراكه الزمني/التاريخي.

لكي تكون أي حكاية تاريخية بسيطة مليئة بالتفاصيل مهما كانت دقتها تحبس الإنسان في زمان ومكان محددين، وتجاوزها يأتي بتجريدتها، والتجريد عمل صناعي يقتضي اختزالاً لوقائع معقدة (غاديس، 2016). ذلك عبر الآثار باعتبارها من الأبعاد المادية للمكان التي تتركها المدن؛ فيتحقق مفهوم الاستمرارية كتواصل لأنماط العمران في التاريخ وتبقى المدينة هي الواقع الذي يؤمن استمرارية حياة شعب ما، وهي العمق الفلسفي والكوني لهذا الشعب، وهي السجل الدائم والمفتوح للحياة الاجتماعية وإطار الوجود، وهي الذاكرة التي تحفز فيها أحداث الأمس وتطلعات الغد، وتزيد من الارتباط في المكان والناس وتساعد في تعزيز الهوية والانتماء. بينما فقدان ذاكرة المدن ونسيجهما العمراني والمعماري يساهم في تآزيم الهوية. فالذاكرة تبقى الحكاية التاريخية حية في أذهان الأجيال المتلاحقة وتبنى على البقاء والاستمرار والتراكم (سعيد، 2020). بذلك فإن تاريخية الذاكرة تعمل في اتجاهين إلى الخلف تستجمع الماضي وتبنيه وتركبه، وإلى الأمام من الحاضر باتجاه المستقبل تنشُد الاستمرارية، ولا يمكن لأحدهما أن يوجد دون الآخر.

1.1. الحراك المكاني:

تعمل موجة الحراك المكاني المتكاثفة التي اجتاحت العالم خلال العقد الماضي، ومازالت مستمرة عبر اللجوء والنزوح على إعادة تشكيل الأماكن من جديد. ذلك من خلال "فك ارتباط" الإنسان بالمكان

القديم بكل ما فيه، وحتى يستطيع أن يدخل المكان الجديد عليه أن يخلع مكانه القدي، وفي ذلك إنسلاخ عن إنسانيته (سويلي، 2018). بالرغم من تعقد هذه العملية يبقى للمنفي علاقته الخاصة بالأماكن. في صراع بين الجذور التي نبت فيها، وبين الأماكن الجديدة التي تتطلب جذوراً جديدة ليست بالعمق الكافي للإحساس بالانتماء للمكان الجديد. إن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن المكان هو إطار معاشي أي هو إنساني بالدرجة الأولى يزخر بالقيم والعواطف والرموز. وبما هو إطار معاشي، فإنه في الوقت ذاته هو إطار للحنين لأن الذاكرة تتكون فيه بشكل يجعل من تلك الذاكرة وطناً. فما يستطيع الإنسان أن يحمله في غربته واغترابه هو الذاكرة، التي يتنقل بها في مطارح متنوعة بين (أماكن الماضي، وماضي الأماكن) (حمزة، 2020). كون الذاكرة تحتاج الأمان، وتميل إلى الارتباطات المكانية، إلى "أمكنة المعلومات" وتموضعها في المكان. (ياسمن، 2003). لا ينفصل ذلك الحراك المكاني عن جدلية الذاكرة والحنين

نظراً لهذا المركب المعاشي- الإنساني للمكان من الضروري التمييز بين النفي والتشرد، حيث ثمة مبدأ في النفي عادةً، في حين لا نجد في التشرد سوى التراخي. ألا يختلف المنفي الذي يدفعه نظام بلاده أو خوفه من التصنيفية الشخصية إلى العيش خارج مسقط رأسه عيشة استحالة وألم، لا عيشة امتياز وحظوة؛ ألا يختلف عن المهاجر الذي يأتي إلى المتروبول الغربي بقصد الارتباط بالطبقة المهنية الوسطى مبتدعاً نمطاً بلاغياً يطغى على قضية الطبقة ليتحدث عن الهجرة بوصفها وجودية؟ (بابا، 1994). إذن يمكن تفسير تأثير البناء المكاني السحري إلى الحقيقة القائلة إن جسد الإنسان بالذات قد صمم كقطعة من المكان بحدوده، ومراكزه الحيوية، ودفاعاته، ونقاط ضعفه، وأخطائه. على صعيد الخيال "مع أنه يختلط في معظم الثقافات بالرمزية الاجتماعية"، فالجسد هو حيز مركب وهرمي الترتيب، ويمكن استثماره من الخارج. إذا كنا نمتلك بعض الأمثلة عن الأراضي التي يفكر فيها على غرار صورة الجسد، فإن الجسد الإنساني، على العكس، يمكن التفكير فيه على أنه ميدان بعامية (أوجيه، 2018).

1.2. بينية الزمان والمكان:

مع إفراط الحداثة في سرعتها أخذت تتسم روح عصرنا باللايقين والتغير السريع وإعادة توزيع القوة والتأزم والسلوك الفوضوي. نعيش في مرحلة بينية، حيث تحتضر السرديات القديمة فيما لم تولد بعد تلك الجديدة. ويبدو أن فقط القليل من الأشياء هو ما يحمل معنى (ساردار، 2018). فظهر الزمن السائل الما بعد العادي؛ فأن تكون في الـ "ما بعد" يعني أن تقطن فضاءً بينياً، بيد أن السكنى في الما بعد تعني أيضاً عودة إلى الحاضر بغية توصيف تعاصرنا الثقافي من أجل إعادة نقش تشاركنا الإنساني، والتاريخي (بابا، 1994). لذا تخلق الأماكن الأنثروبولوجية علاقة اجتماعية عضوية. كذلك تخلق اللاأمكنة علاقة تعاقدية ووحداية (أوجيه، 2018).

بين زمني اليقين/الصلب، واللايقين/الهش تكوّن فضاء اللامكان. بحيث أن ارتياد اللامكنة اليوم مناسبة للقيام بتجربة غير مسبقة تاريخياً من الفردانية الانعزالية، والتأمل اللاإنساني بين الفرد والسلطة العامة (أوجيه، 2018). والانتقال من الأمكنة إلى اللاممكنة يتطلب التسارع في وسائل النقل والتزايد في التجمعات المدنية وتقلص الريف، والتنقل المتسارع للأفراد والمكبات، والتنقل إلى التجمعات التجارية الكبرى، ومخيمات اللاجئين متزامية الأطراف. أصبح عالم اللاممكنة عالم نعيش فيه، ولكن لا نعرفه فيحتاج إلى الكثير من التفكير فيه لفهمه. مما يحيل إلى إنتاج المعنى بشكله الفردي والجمعي. فقد أصبحت الهواتف والألواح الذكية هي التي تحدد علاقاتنا بالآخرين من خلال شاشة ف (نحن متصلون دائماً حيثما كنا وفي أي لحظة، إلى حد أن الزمان والفضاء يبدوان وكأن أحدهما انكفأ على الآخر. وقذفا بنا داخل تصور للوجود يمكن أن نطلق عليه "الهنا والأن"، تبعاً لذلك حقل تجاربنا الذي يشكل وجودنا كله) (غودار، 2019).

إن "الهنا والأن" تعني أن كل شيء مباشر وكل شيء ملك اليد. هذه الزمنية الحداثيّة تسيطر عليها هشاشة استهلاكية، تهيم عليها السرعة والأنية والافتقاد إلى العمق التاريخي. مما يفقد المكان بعده الاتصالي بين الماضي والحاضر والمستقبل، هذا العمق لا يتوفر في اللاممكنة كون ما يهيمها هو اللحظة الراهنة. وبسبب هذا التعقد لم يعد أحد الآن خارج قانون المخاطرة الذي طال كل مكان وليس فقط المكان الذي نعيش فيه، المترف منه والمحروم حتى إن واجه الناس في كل الأزمنة والأمكنة نصيبهم وحصتهم من المخاطرة. فمن أحادية المكان وحصر المخاطر محلياً إلى تعددته، حيث أصبحت الحياة أشبه بحياة الرجل لأنها تقضى في السيارات والقطارات والطائرات نحن نجلس جميعاً في منطقة مخاطر على مستوى العالم (بيك، 2013).

إن الحداثة بأزمتهما السائلة الما بعد العادية تفرض قيمها على الأماكن والفاعلين الاجتماعيين، فهي تؤثر بمظاهرها على الوعي الفردي الذي يختبر تجارب جديدة من العزلة المكانية أو ظهور اللاممكنة، حيث أن طبيعة الحياة الحداثيّة في المطارات، ووسائل النقل، والسوبر ماركت، واستخدام البطاقات الائتمانية، والفحص السريع لإعطاء الاحساس بالأمان ترسخ الطابع الفردي للحياة الحديثة، لتعطي هوية جديدة للمكان وتسهم في خلق اللاممكنة، فبين الخاصية التاريخية للمكان والحداثة: انتقال من التاريخ والهويات المتجذرة كواقع معاش بشكل عميق إلى اللايقين كواقع يتأسس بلا عمق تاريخي؛ بذلك تنتقل السمات المكانية من كونها إحالات تاريخية إلى لحظات أنية مؤقتة وعابرة.

1.3. التاريخية السياسية للمكان:

إن اللغة السياسية هي بالطبع مكانية (على الأقل عندما نتحدث عن اليمين واليسار) لأن عليها ربما أن تفكر بالوحدة والتنوع معاً، ذلك أن المركزية هي التعبير الأكثر شيوعاً، والأكثر مجازية والأكثر مادية في الوقت ذاته عن هذا الإكراه الفكري المضاعف والمناقض (أوجيه، 2018). كون مماهة السلطة مع المكان الذي تمارس فيه، أو مع الصرح الذي يضم ممثلها، هي القاعدة الثابتة للخطاب السياسي في الدول الحديثة فالبيت الأبيض والكرملين هما في الوقت ذاته بالنسبة إلى الذين يتلفظون باسمهما، أماكن هائلة، ورجال، وبنى سلطة (أوجيه، 2018). إذ أن المعيار الذي يشكل مجتمعاً يشير إلى السيادة على أرض (غودوليه، 2015). بحيث يمتلك المكان سلطة لمن يسيطر.

ففي العديد من المدن التي تتميز دولها بحكم تسلطي ديكتاتوري؛ يهدف نظامها الحاكم إلى تفكيك العلاقات والارتباطات المكانية بكل تفاعلاتها ليتمكن من تثبيت حكمه المستبد، ومن مواضع التفكيك تلك: تفتيت المكان إلى أجزاء متناهية الصغر بشكل يضمن حاكمها عدم تجمع سكانها كقوة ضده، كونه يعي قوة المكان وتأثير الفاعلين الاجتماعيين القاطنين به. فيبرز المكان بفاعليه دوره كنوع من المقاومة الاجتماعية للحكم الديكتاتوري. لذلك يقوم أبناء المكان بتعزيز ترابه والتعرف على أي غريب يمكن أن يدخل إلى تلك الكيانات الصغيرة. كما يحدث في دمشق مثلاً إذ كثيراً ما توارد في الثقافة الشعبية السورية المعاصرة أن الشامي (الدمشقي) لو سُئل عن مكان ما في دمشق؛ فإنه لا يقوم بالإرشاد إليه بشكل صحيح، وقد ارتبط ذلك الفعل بالعلاقة مع السلطة السياسية التي سيطرت على شوارع العاصمة دمشق. فخلال مسافة لا تتجاوز الـ 300 م تقريباً يتواجد أكثر من شارع بأكثر من اسم لا يعرفه إلا قاطني الشارع نفسه، ونادراً ما يعرفه أبناء الشوارع الأخرى بما في ذلك الشوارع القريبة. فإن جاء عابر سبيل يسأل عن شارع ما؛ يفهم أنه بالتأكيد لا ينتمي إلى التكوين المجتمعي لتلك الشوارع. وكأن في ذلك دور للبنية الاجتماعية في مقاومة السلطة المستبدة بأسلوب مبتكر. فتحاول تلك القوة المجتمعية إعادة فرض سلطتها على المكان بعد أن عملت السلطة السياسية على تفكيكه، من خلال محاولة فصل الروابط الفاعلة التي قد تؤدي إلى التجمع والثورة على تلك السلطة المستبدة. خاصةً أن كثير من أماكننا تتشكل وفق إرادة سياسية ووفقاً لمصلحتها، لكن ما تزال البنية الاجتماعية ترسخ دور الفاعل الاجتماعي الذي يعمل على المقاومة وفق مصلحة الفاعلين الاجتماعيين وإرادتهم.

بناءً على ذلك فإن المكان هو حيز مرمرز أي حيز أنثروبولوجي لأنه غني بالمعنى والفعل. في ذلك المكان المرمرز، لاسيما إن كان تاريخياً، تعبير عن صورة متزامنة لحياة عابرة قد ضاعت، وهذا يتضح في الأماكن التي تشهد حراكاً عنيفاً كمدن الربيع العربي - لعل أشدها عنفاً أماكن سورية - التي تحول الكثير منها إلى أيقونات تمثل العلاقة التفاعلية والتبادلية بين المكان والفعل الثوري، كميدان التحرير في القاهرة- ساحة الحرية في بغداد، ميدان الساعة في حمص/ سورية، ساحة القصبة في تونس.... إلخ

تتقاطع المقاومة الاجتماعية المكانية مع مفهوم الاحركات الاجتماعية الذي يعبر عن الفعل الاجتماعي في أوقات الشدة، كما أنه يفتح إمكانيات جديدة لبحث الممارسات الاجتماعية غير المشاهدة، والتي يمكن أن تحدث تغيراً اجتماعياً كبيراً. كذلك يكشف عن منطق الممارسة بين التجمعات المتفرقة والمتباعدة تحت ظرف الحكم التسلسلي الذي يمنع فيه التجمعات الحرة والتواصل النشط. إنه يخبرنا عن الطريقة التي يتصرف بها الناس، وكيف يقاومون ويتحدون الهيمنة عبر ممارسات جمعية، من ناحية أخرى، إنه يتحدى الأفكار وصور الاعتذار التي تقدم لتبرير الانسحاب وعدم الفعل تحت وطأة السيطرة. إنه يساعدنا على أن ندرك، ومن ثم نأمل، إنه على الرغم من الحكم التسلسلي، فدائماً يوجد طرائق يمكن أن يقاوم بها الناس، وأن يعبروا عن طاقاتهم، وأن يبدؤوا التغيير بدلاً من الانتظار أو اللجوء إلى العنف (بيات، 2014).

إذن تتجلى تاريخية المكان في الجوانب المادية كالصروح والأبنية والكتب والجداريات، وفي الجانب اللامادي الذي يتجلى بالقيم والمعاني التي تحملها تلك الرموز. فتمثل تلك التاريخية حضور الماضي في الحاضر؛ ليكون المكان بتاريخيته معبراً عن تفاعل الإنسان مع الحيز الذي يشغله كإطار معاشي؛ كذلك يستمر فيه الارتباط بين الماضي والحاضر والمستقبل من خلال الذاكرة. إنها نقطة اتصال للأماكن ولا تنفصل حتى بعد ترك المكان كون الذاكرة هي نقطة الاتصال المستمر، حتى إن تعرضت لبعض الانقطاعات.

2. المكان علائقياً

يشكل التفاعل بين الأفراد أساس العلاقات الاجتماعية، إذ بدون تلك العلاقات لا يمكن الحديث عن مجتمع. وانطلاقاً من كون الإنسان كائن اجتماعي؛ فإنه لا يستطيع العيش منعزلاً إذ يحتاج إلى الآخرين لبناء رابطة (رسمية أو غير رسمية) من أجل دينامية المجتمع واستمراره، ولتحقيق ذلك فإن هذا التفاعل بحاجة لمكان يحتويه، يسهم في تشكيل تلك العلاقات وفق نظمته وقواعده.

1.2. المكان مجال حاضن للعلاقات:

عند الحديث عن المجتمع فإنه لا بد أن يتحدد بالضرورة بمكان معين يمارس ضمنه جموع السكان نشاطاتهم. فمن ناحية تتضمن حدود المكان كل من التجمع البشري والنسق الاجتماعي، ومن ناحية أخرى يعتبر المكان محل التوجه الاجتماعي والنفسي. إذ عادة ما تتحدد علاقة الأفراد وأصولهم في ضوء المنطقة التي يشغلونها في المجتمع المحلي سواء عن طريق الموطن الأصلي أو محل الإقامة. لهذا فإن للمكان تأثيره الواضح على النشاط الاجتماعي وما يرتبط به من عمليات اجتماعية، كالتعاون أو الاعتماد

المتبادل. كما أن خصائص المكان قد تفرض شكلاً معيناً من أشكال التوافق الاجتماعي سواء بين الأفراد بعضهم ببعض أو بينهم وبين البيئة المحيطة. من هنا قد يكون من الصعب في كثير من الأحيان فهم وتفسير طريقة الحياة في مجتمع ما دون الرجوع إلى خصائص المكان (الخواجة والدريبي، 2010).

تأتي العلاقات الاجتماعية لتكون محملة بالمعاني مع توقعات محتملة من الطرف الآخر خلال عملية التفاعل الاجتماعي (سويلي، 2018). فثمة طقوس تشكل كل موقف أي شكل البيئة المكانية الكاملة، وهذه الطقوس تنظمها مجموعة التوقعات والإجراءات المتولدة عن الوفاء بهذه التوقعات (جوردون و سيلفا، 2018). بحيث تكون العلاقة بين الإنسان والمكان علاقة متداخلة تتجاوز ظاهرها الوظيفي والشكلي. أي أنها ذات دلالات ثقافية وفكرية مرتبطة بما سبق، ومؤسسة لما سيأتي ومولدة لتألف حيوي ومتجدد ناتج من أثر الماضي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وذاكرته (سعيد، 2020). مما يجعل العلاقات تمتلك خصوصية زمنية ومكانية واجتماعية.

إن التفاعل بين الأفراد الذي ينتج الفعل الاجتماعي ما هو إلا السلوك البشري الذي تحركه وتوجهه المعاني الموجودة في حياة الفاعل. هذه المعاني يدركها الفاعل، ولكي يتحقق الفعل فإنه يحتاج إلى الفاعل "الفرد أو الجماعة أو المجتمع"، الموقف "المحيط الذي يرتبط به الفاعل"، الرموز "يرتبط من خلالها الفاعل بالعناصر المختلفة"، موجهات الفعل "القيم والمعايير". (سويلي، التغير الثقافي في الريف السوري- دراسة أنثروبولوجية في إحدى قرى محافظة حلب، 2014). فمن خلال هذه التفاعلية لا ينفصل الفعل الاجتماعي عن المكان الذي ينتجه.

لذلك فإن العلاقات الاجتماعية ليست موجودة فقط بين الأفراد والمجموعات، بل هي موجودة في الوقت نفسه في داخل جميع الأفراد والمجموعات المنخرطة في العلاقات، وهو ما يمكن تسميته "ركيزتهم الفكرية (التصورية) والذاتية" التي لم تتشكل من تصورات فحسب، إنما من مبادئ فعل وحظر "المباح والمحرم" أيضاً (غودوليه، 2015).

2.2. العلاقاتية بين المكان واللامكان:

إننا نتبدل وفق المكان والنظرة اللذين يشغلهم كل واحد منا ما يجعل الهوية والعلاقة هما في قلب كل الإجراءات المكانية المتبدلة (أوجيه، 2018). يكفي النظر إلى العالم سريع التغير اليوم، فمن الإيمان بأن العالم قرية صغيرة تعبيراً عن شدة التقارب وسهولة الاتصال إلى عالم التباعد الاجتماعي. مع بداية جائحة كوفيد 19 يرى آلان تورين أن هناك غياب للفاعلين "الأفراد، أو الجماعات، أو المجموعات"، وغياب للمعنى، وغياب للأفكار، إذ ليس لدينا أي سلاح، أيادينا فارغة، نحن محبوسون ومنعزلون

ومهجورون. يجب علينا ألا نتصل ببعضنا البعض، وفوق هذا وذاك يجب أن نلزم البيت. هذه ليست حرباً (تورين، 2020). هو نوع من الفعل الجمعي دون فاعلين جمعيين (بيات، 2014). ما نعيشه اليوم هو مواجهة بين ما هو إنساني وما هو لا إنساني، قد تكون حرباً دون مُقاتلين (تورين، 2020). يحيل رأي تورين ذلك إلى أن الظواهر لن تندثر، ولكن سيغدو إنتاج المعنى هو المختلف. فيشهد عالم اليوم إفراطاً في التغيير وكل ما كنا نعتقد أنه عن العالم الذي كنا نعيش فيه أضحي بحاجة لفهم وتفكير جديد، واستخلاص معاني جديدة "الزمان- المكان- الإنسان" فعالم الحداثة يؤسس لعالم بلا ثوابت وبلا أرض.

بهذا ونظراً لنمو المجتمعات الإنسانية والتغيرات في أنماط حياة الناس، إضافة إلى التطور التكنولوجي، تغيرت معاني الأماكن وأصبح الناس يعيشون في اللامكان. هذا اللامكان يدل على أن المحيط لا يمتلك شخصية مميزة أو إحساس بالمكان. فمن لا يدركون الأماكن ثقافياً بكل دلالتها لا يمكنهم الإحساس بالمكان. لذلك فاللامكان لا يمتلك خصائص فيزيائية، وإنما هو عبارة عن بيئات غير معروفة ثقافياً، تتشابه في كل المواقع (Najafi و Shariff Bin Mohd، 2011). وأكثر ما يظهر ذلك في الحياة الرقمية. فلم تعد الحرب هي الوجه الآخر للصراع الاجتماعي (تورين، 2020).

3.2. العلاقات المكانية المرمزة:

بالرغم من كل الانقطاعات الاجتماعية للعلاقات في تشكيلها الحداثي إلا أن المكان يكون حقيقة حياتية ومعاشية؛ كونه يتمثل بأنه إنساني يزخر بالقيم، وبما هو إنساني فإن الأفراد يرتبطون فيه بعلاقة تتسم بطابع نفسي واجتماعي وثقافي. فمن خلال التبادل العلائقي يتأسس لديه مفهومه عن الأشياء والرموز والمعاني التي ينتهي إليها، وبنفس القدر الذي يكون فيه المكان منتج إنساني كذلك يتجلى المكان في الإنسان فكثيراً ما يوصف الفرد بمنطقته كابن ريف، ابن مدينة، ابن مصر، ابن سورية. (سويلي، التحولات الاجتماعية والثقافية في زمن الربيع العربي- تحليل ثقافي، 2018). فحين تميل المدن نحو الحداثة المطلقة يحدث انقطاع ويفتقد عنصر التكامل والاستمرارية، وحين تميل نحو الوفاء المطلق للتراث عبر تقليده يحدث توقف وتفقد الحقيقة التاريخية، فتراث الذاكرة هو تراكم لاتجاهات وأفكار وتجارب منصهرة وامتزجة مع النشاط الاجتماعي المرافق (سعيد، 2020). فكما أن تفاعل الأفراد يكون ذاكرتهم فإن الأماكن تتركب قدراً كبيراً من تلك الذاكرة فتكون العلاقة مع الآخر والعلاقة مع المكان ديناميكية. أي تشكل حركية مستمرة بين أبعاد الزمن الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل من خلال التفاعل الإنساني الحامل لتلك الحركية.

تلك العلاقة الديناميكية متغيرة حسب سياقها، وتعمل على توليد مواقف إبداعية أصيلة ترتبط بالمكان ومخزونه المادي واللامادي، تتكثف بصرياً وحسياً، إضافة إلى ماضي متكس، ماضي ليس

كمفهوم زائل ومنته بل كمفهوم تراكمي، ووجود الذاكرة وحضورها يتمثل في نسيج المدينة كخازن لتراكمات محسوسة ومدركة وفكرية وتاريخية (سعيد، 2020). فالمدينة تقوم بعرض الماضي وتقديمه في لحظة الحاضر بشكل يرتبط مع مجريات المدينة في تفاعلها مع مستخدميها وسكانها وكل من يساهم في خلق الحدث والإضافة إلى المخزون المتجدد (سعيد، 2020). إنه عبارة عن تشكيل ذاتي وتاريخي للفرد عن طريق شبكة العلاقات. هو شكل من الحياة المشتركة مع آخرين ذوي بنية نوعية تماماً (إلياس، 2014).

يملك الإطار الفيزيائي للمكان تأثيراً نفسياً وسلوكياً على الإنسان، وطبيعة مكوناته تشكل شخصية المكان وروحه. فالمكان له ذاكرة تبقى حية مستمدة من قوة الحضور العمراني ضمن النسيج القائم بكل نشاطاته التي تجري وتكرر داخله. لتصبح خاصية من خصائصه وتشكل على مر الزمان ذاكرة المكان التي تعطي المدن جوهرًا وتجانسًا وانتماءً، وتوليها مهمة الحفاظ على الماضي وإتاحة الإمكانية لتجربة وفهم سلسلة متواصلة من ثقافتها وعاداتها. بذلك لا يتواجد الإنسان فقط في الواقع المكاني والمادي بل يعيش أيضاً الحقائق الفكرية والزمنية (سعيد، 2020). فتشكل الأمكنة لون البشر، والعادات والتقاليد والقيم والأخلاق، الموسيقى والفنون والفلكلور والتراث، والمجالات الاجتماعية والعمرانية، والإطار البيئي من الهواء والماء وحياة النباتات والحيوانات، التي تعيش في المكان ويتغذى عليها الإنسان. كذلك يمتلك المكان بعد مادياً ونفسياً وإدراكياً واجتماعياً وثقافياً. مما يجعل المكان يتميز بالتعقيد والحركة والعلاقات.

4.2. من العلاقات الاجتماعية إلى الشبكات الاجتماعية:

يستخدم ميشال أجي مفهوم "خارج الأماكن" لوصف المجالات التي ينتجها الاستبعاد المتعدد الأشكال والعالي، وهي مجالات خارج الحدود أو فراغات ليعبر عن اللامكنة فيقول: خارج الأماكن تقع على حافات أو حدود النظام الطبيعي للأشياء الطبيعية/ العادية التي لا تزال في نهاية المطاف حتى اليوم نظاماً وطنياً ودائماً أكثر تحضرًا، وتكون متميزة على الأرجح بالاحتواء وبالوضع خارج الحدود الإقليمية، وتبني هذه الأخيرة في إطار تجربة استبعاد مزدوج للمكان، استبعاد أماكن المنشأ التي كانت مفقودة بسبب التنقل العنيف، واستبعاد مجال السكان المحليين الذين يجدون بجانبهم المعسكرات ومناطق العبور الأخرى. وتشكل توترات الجوار بين السكان المحليين واللاجئين مشكلة حقيقية في إدارة المخيمات (أجي، 2019). بحيث يعد مجال المخيم أو المنطقة العازلة عالمًا فارغًا من حيث المبدأ يقع خارج كل الأماكن لكنه على علاقة فيما بينها، إنه فضاء الحدود المتجدد، ومع ذلك فمن الضروري التساؤل حول هذه الفضاءات البينية، وعن تلك الحدود وما يوجد بينها (أجي، 2019).

إن تلك العلاقات المكونة في هذه الفراغات ما هي إلى شبكات اجتماعية تتكون بالاتصال العابر والسريع عبر التواصل الافتراضي أو استخدام المنتجات التكنولوجية. فتسهم الشبكات الاجتماعية

بشكل ما في إفقار الطابع الاجتماعي عوضاً أن تدعمه (غودار، 2019). مثلاً، تلك الشبكات ما هي إلا الروابط التي تحل مكان العلاقات في عصر الحداثة السائلة لتدلل على الارتباطات الهشة في العلاقات الإنسانية، كونها صلات عابرة لأن إنسان العصر السائل لا يستطيع تحمل التكاليف النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة على الالتزام والضبط. إذ تتميز تلك الروابط العابرة بتشابكها، وسرعتها، والتحول من مفهوم المجتمع إلى مفهوم التجمع البشري بعد أن كانت تلك العلاقات الاجتماعية تتميز بوضوحها، وبأنها مركبة ومعقدة يحتضنها مجتمع متلاحم ومتماسك (سويلي، التحولات الاجتماعية والثقافية في زمن الربيع العربي- تحليل ثقافي، 2018).

هذا النمط من العلاقات هو "شبكة الصلات العابرة والاتصال". فمصطلح الشبكة إذن يركز على مصفوفة تقوم بالوصل والفصل في آن معاً؛ فلا يمكن تفعيل مفهوم الشبكات دون تفعيل هاتين الخاصتين، حيث يحظى الوصل والفصل بالشرعية والمكانة نفسها. لتكون الاتصالات "علاقات افتراضية" تختلف عن العلاقات القديمة "الملتزمة" والعهد طويلة المدى (باومان، 2016). أي أن الشبكات تحل مكان العلاقات، وتعتبر عن "فك الارتباط" بكل ما هو إنساني، والتركيز على كل ما هو إجرائي أداها وسائل الاتصال الحديثة التي وفرها المجتمع الشبكي. بالرغم من سرعتها إلا أنها هشة ومائعة حلت فيها إمكانية التواصل مكان بناء العلاقات، كون تكلفة الاتصال العابر أقل من بناء علاقة أو الوفاء بالتزامات نشوء روابط متينة مع الآخرين. بحيث أن ميزة اللامكان خدمت عصر السيوالة وصلاته العابرة، فالوصل والفصل متاح دائماً. (سويلي، التحولات الاجتماعية والثقافية في زمن الربيع العربي- تحليل ثقافي، 2018). حيث أن مفهوم المجتمع الشبكي يعود لمانيول كاستلز، ويمثل تكنولوجيا المعلومات التي جلبت شكلاً جديداً من التنظيم الاجتماعي، الذي يتم عبره إنتاج التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتكنولوجية خلال التفاعلات الرقمية (Kizilhan و Kizilhan، 2016)

على سبيل المثال، إن التسويق الذاتي من خلال السيلفي أصبحت الأنا ماركة (علامة تجارية). أي منتجاً موضوعاً للتداول في السوق. فمن السهل التحدث عن الأنا وذلك من خلال عرضها. هذا يرفع من قيمة سلطتنا الاجتماعية، وهو ما يضمن خلق لحظة شعبية مباشرة. يتعلق الأمر بمرحلة يستطيع فيها فرد أن يصبح مخرجاً موزعاً لصورته الخاصة، ويكون أيضاً ممثلاً في فيلمه فالرغبة المعبر عنها تكمن في تنصيب المرء نفسه نجماً (غودار، 2019). إذ كلما أصبحنا أكثر اتصالاً أصبحت الشبكات أكثر هيمنة (ساردار، 2018). فيلاحظ عبر ذلك التشكل الجديد أن المشهد الاجتماعي نفسه يشهد تحولاً جذرياً. (ساردار، 2018). فما هو عادي يصبح خارقاً للعادة. ليس من السهل القبول بذلك اجتماعياً، لكن الصعوبة الأكبر هي في تبني معتقدات وسلوكات جديدة خلال وقت قصير، إن التواصل مع كونه أداءً ثقافياً هو كذلك قدرة الكلمة أو الحركة على القيام بفعل أو عمل في العالم الاجتماعي، وعليه

يكون "الإقصاء" نوعاً من المنفى الداخلي (وينكن، 2018). كيف يمكن التواصل عبر الأجيال؟ وكيف يمكن للمعرفة الجماعية أن تنتشر؟ حيث نقلت الحداثة العلاقات من التفاعل بين الأطراف إلى محور مركزه الفرد المتصل إلكترونياً. ففي هذا العالم يوجد حضور مشترك لكن دون تواصل عميق؛ إذ يكفي تخيل وجود أسرة تجلس في غرفة المعيشة أو على مائدة الطعام معاً، وعيونهم لا تبصر سوى شاشات هواتفهم أو الألواح الذكية مما يعني أن قرب المسافة اليوم لا يعني إطلاقاً القرب الوجداني. إنما هو القرب الافتراضي عبر قائمة الأصدقاء الطويلة على مواقع التواصل الاجتماعي من خلال إشارة الضوء الأخضر (online) وإن لم يتحدث أولئك الأصدقاء معاً. هذا القرب الافتراضي حرر الاتصال من فكرة المكان وقوانينه الملزمة. إنه عصر الشبكات الاجتماعية البعيدة تماماً عن أي تعهدات، هو عالم مريح أكثر من نظام العلاقات الاجتماعية. لذلك (نميل إلى نسيان أنفسنا في الافتراضي، عوضاً أن نعيش لحظات واقعية) (غودار، 2019). بمقدور تكنولوجيا الاتصال الجديدة خاصة المواقع التي تتيح تكوين شبكات اجتماعية، مثل الفيس بوك أن تسهل الاتصال عبر وسيط المكان عن طريق ربط الأفراد المتباعدين عبر العالم الفضائي، وهي بذلك تخلق فرصة قوية لبناء الشبكات النشطة والخاملة (بيات، 2014). نظراً لذلك برز على الواقع الاجتماعي فاعلين جدد (الإعلام الاجتماعي، الواقع الافتراضي)، وتكوينات جديدة لصورة الأنا والآخر.

3. المكان هوياتياً

المكان هو المكون لصورتنا الذهنية عن المحيط ورؤيتنا للعالم، يشكل الذاكرة والخيال والرغبات، ويراكم المعاني اليومية لتتحول إلى ممارسات سلوكية حياتية، بحيث تتكون ضمنه دوائر الانتماء التي تكبر شيئاً فشيئاً (الانتماء للأسرة، للمدرسة، للشارع، للحي، للمدينة، للوطن)، وتمثل تلك الانتماءات الأجزاء التي تتركب منها الهوية. فكما يتشكل الفكر والوعي في المكان تتكون الهوية في المكان أيضاً. حيث يضفي الإنسان على المكان شيء من خصائصه الإنسانية ويعطي المكان للإنسان خصائصه الهوياتية، لتأخذ هذه العلاقة شكل الرابطة المتبادلة، فأى خلل في أحدهما ينعكس على الآخر.

1.3. الهوية المكانية بين الجمعية والذاتية:

تشكل الهويات الجمعية في الأماكن العامة وإن خضعت للمراقبة في أماكن العمل والجامعات، ومحطات النقل العام، وطوابير الحصول على السلع، وأماكن التسوق ومناطق الجيرة والتجمعات غير الرسمية والمساجد. ف وراء بعض الشبكات المؤسسة بوعي توجد الشبكات الخاملة Passive networks والتي تعمل باعتبارها من أكثر الوسائط أهمية في بناء الهويات الجمعية. فهذه الشبكات تمثل نوعاً من التواصل التلقائي وغير المعبر عنه بالكلام بين أفراد لا رابط بينهم. يتم تأسيسها

من خلال التلاقي في الأماكن العامة عن طريق الفهم الضمني لصور التشابه المشترك المعبر عنه من خلال الأسلوب أو السلوك أو الاهتمامات (بيات، 2014).

للاذكرة الجمعية علاقة بالهوية، ومساهمة في تعزيز الانتماء، وإحداث صلات بين جغرافيا المكان والعمارة والمواضيع الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالمجتمع أو الوطن. في حين أن التخلي عن الذاكرة وإهمال مفهوم "أماكن الذاكرة" في المجتمع التي يرى فيها الضامن الوحيد لاستمرارية الارتباط الجمعي بالماضي المحلي ولتأسيس هوية مشتركة اجتماعية، يفسح المجال أمام تفشي "النسيان الجمعي" الذي يؤدي بدوره إلى إضعاف الهوية وزوالها (سعيد، 2020) لا يغيب هنا أن الفكر الحدائري ربط مفهوم الهوية بمفهوم الذات. فالذات تعيش في ثلاثة عوالم: العالم الموضوعي الذي يفرض سننه وقوانينه فيصعب التدخل في تغيره، والعالم المجتمعي الذي يتشكل بإرادة الإنسان الذي يصنع لهذا العالم قوانينه، وعالم الذات الداخلية التي تحتاج إلى أن تقطع شوطاً للوصول لمرحلة الرشد الذي يجعلها قادرة على طرح سؤال افتتاحي لصياغة الذات عبر تجارب عانتها الذات في العالمين السابقين الموضوعي والمجتمعي (الحمد، 2021). فأن تولد يعني أن تولد في مكان ما، وأن تتحدد بمكان إقامة، وبهذا المعنى يشكل مكان الولادة الهوية الفردية (أوجيه، 2018).

أيضاً الجماعة بقدر ما هي متشابكة مع غيرها من الجماعات، وبقدر ما تمتلك من خصوصية فإنها تسعى للحفاظ على كيانها من خلال استمراريتهما من الماضي إلى الحاضر الذي يكون صورتها الذاتية، والمستقبل الذي يجسد استمراريتهما فإن هذه الجماعة (تكوّن عبر الزمن وعياً بهويتها) (ياسمن، 2003). حيث تحتاج الجماعات البشرية كما يحتاج الأفراد الذين ينتمون إليها إلى التفكير بشكل متزامن في الهوية والعلاقة. لذلك تكون معالجة المكان هي إحدى وسائل هذا المسعى. هذا التفكير ثقافي في جوهره لأنه يمر عبر أكثر العلامات وضوحاً، وأكثرها رسوخاً واعترافاً من النظام الاجتماعي. إنه يرسم المكان بشكل متزامن ويجعله مكاناً مشتركاً في أن (أوجيه، 2018).

من أجل ذلك فإن الهوية هي تبلور العلاقات الاجتماعية والثقافية داخل فرد ينخرط فيها ويُحمل على إعادة إنتاجها أو نبذها، وهذه العلاقة مع الآخر تحدد أو تعرف الرابط الموجود بيننا، وتعرف في الوقت عينه كل واحد منا إنمّا على طريقة مختلفة. هذا هو تعريف الأنا الاجتماعية التي يقدمها كل واحد منا للآخرين، لكن توجد نسخة أخرى للأنا هي الأنا الحميمية الناتجة عن المقابلات السعيدة والحزينة لهذه الأنا الاجتماعية مع الآخرين. لهذا السبب تعد الهوية الاجتماعية لكل فرد هي في الوقت نفسه واحدة ومتعددة تبعاً لعدد العلاقات الاجتماعية التي ننشئها مع الآخرين (غودوليه، 2015). في المكان ذاته أو عبر الاتصالية مع الأماكن الأخرى التي تؤثر بدورها على الهوية، وتشكيلها، وتشابكاتها.

2.3. اتصالية الهوية وانفصاليتها:

يشهد المجتمع المعاصر انتقالية ذات وتيرة متسارعة بدأت فيها معظم أو إن لم نقل جل أشكال الارتباط بالماضي والمؤسسة في آن واحد الهوية الجماعية في الاضمحلال التدريجي. مما يجعل أماكن الذاكرة هي البديل الحسي والاصطناعي والضامن الوحيد ليس فقط لاستمرار الارتباط الجمعي بالماضي القومي، بل في المقام الأول لتأسيس الهوية المشتركة – القومية والمحافظة عليها (عباس، 2014). وعلى الجهة المقابلة من تسارع هذا العصر مثلاً أصبح الفيس بوك وحده مدينة عالمية مفتوحة لم تغلق بعد، شبكة اجتماعية عبر الإنترنت تضم أكثر من مائتي مليون من "السكان". مدينة محاكاة ضخمة وليس خيالاً علمياً، ولكنه بالأحرى حاوية كبيرة من أشخاص بلا أجساد شديتهم الأفكار والتأملات والهويات. فنسخة العولمة التي يتم الحديث عنها أفلت تقريباً منذ تسعينيات القرن الماضي، أو أنها لم تعد النسخة الوحيدة. نحن نعيش في العالم الافتراضي، هجرنا واقعنا منذ مطلع الألفية، نحن نتواصل جيداً كما يليق بمعلومات تجسدت إلكترونياً (رحمة، 2020). لهذا لا يخلق فضاء اللامكان هوية فريدة، ولا علاقة خاصة: بل يخلق وحدةً وتشابهاً (أوجيه، 2018).

لقد أضحت التكنولوجيا واقعاً بديلاً أو واقعاً موازياً للواقع الحقيقي بما تحتويه من نظام العلاقات الاجتماعية إلى الشبكات العابرة كنظام من الممارسات الجديدة، فعلى سبيل المثال، الاستماع لأغاني مع وضع السماعة لدى اليافعين والشباب قد يكون انسحاباً طوعياً إلى عزلة من المكان الواقعي لصالح مكان متخيل. مما يخلق أزمة في هذا الواقع البيئي الذي يتشكل حالياً، فتمثل بأزمة هوياتية مجتمعية أنتجها الزمن الرقمي؛ أطلقت عليه إلزا غودار مصطلح "الهوية المتكلسة" أي الهوية التي استعصى عليها النضج، حيث تشبه هذه الأزمة المجتمعية بأزمة المراهقة في عمر الإنسان التي يشوبها الشك والتردد والتحدي والبحث. فقد ظهرت الهوية المتكلسة بسبب الثورة التقانية- الثقافية – الاجتماعية التي رسمت العلاقة مع الأنا، وأدت إلى تغير العلاقة مع الآخر، نتيجة لتغير طبيعة المجتمع عبر التغيرات الإبدالية أو التحولات التكنولوجية التي طرأت على المجتمع. بهذا فالأزمة الهوياتية المجتمعية هي مرحلة انتقالية- انقلاية. لذا افترض غودار أنها يجب ألا تطول. تلك الأزمة جعلت الـ "أنا" عرضة للتحويل الجذري وفي سؤال ملح "من أنا؟" فهل هي "أنوات" متعددة في هوية واحدة، أم تعدد هويات في "أنا واحدة". وترى غودار أن الحل بالاعتراف، الذي له وجهان: الأول هو إثبات الوجود في تجربة الآخر عبر الفعل الذي يصدر منه تجاهي، والفعل الذي يصدر مني تجاهه أي في رمزية لنظرة الفهم من وإلى الآخر "فهم الآخر ونظرة الآخر"، والثاني يتجلى من خلال اعتراف الفرد بمسؤوليته عن سلوكه من خلال ثلاث لحظات هي التعرف على شيء أي الموضوعية، والتعرف على النفس أي الذاتية، والاعتراف المتبادل بين الذات والموضوعي، وهذا يقتضي حواراً متبادلاً يربط بين الأنا والأنت. فمن خلال الاعتراف يقتضي إعادة النظر

في المعنى الذي نعطيه لحياتنا، وهذا المعنى ينظر إليه بطريقتين مختلفتين الأولى هي الاتجاه "في أي اتجاه نسير". الثانية هي الدلالة أي ما الدلالة التي يمكن أن نعطيها لاختياراتنا وقرارتنا وأفعالنا وذلك ما يحركنا ويرر تلك الأفعال (غودار، 2019).

3.3. الهوية على مفترق الحراك المكاني:

إن المهاجر الذي ترك بلده بما يحمله داخله من هوية وذاكرات إلى مكان جديد في محاولة تأسيس لهوية وذاكرات لم تصنع بعد؛ جعل الإنسان على الحدود بين تعطل عمليات إنتاج الهوية المرتبطة بالمكان المحلي، وفي الوقت ذاته هوية المكان الجديد الذي لا يعرفه ولا يملك تصوراً عنه بعد. تعيش هويته صراع الهوية الأصلية والهوية الجديدة. فالإنسان قد يغادر مكانه جغرافياً/ فيزيائياً، لكن ذلك المكان يبقى حاضراً رمزياً وكأنه متجسداً في اللاوعي واللامدرك يمدّه بأسباب الاستمرار ويؤهله لمدخلات جديدة في التكوين الهوياتي. هنا يمكننا التساؤل هل يكفي لتحديد المكان أن نسأل "أين"، أم أن المكان محدد بأبعاد هندسية (طول وعرض وارتفاع)، ومحدد بأساس جغرافي (الحدود والتراب)، ومحدد بارتباطات اجتماعية وثقافية وسياسية وسيكولوجية، وإن كان الجواب نعم فإن الإنسان بالفعل يعيش واقعاً هوياتياً هجيناً، حيث تضيف تجربة الأمن والمخاطر المعاصرة بعداً إضافياً أكثر تعقيداً لمركب الهوية الفردية والجمعية. لذا فالتهديدات المجتمعية يقابلها الأمن المجتمعي الذي يؤثر على تكوين الهوية

خاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن القول أن: المكان مدرك عقلي وإطار معاشي وتفاعلي؛ يتكون من عناصر مادية ووقائع وأحداث يتداخل فيها الزمان والمكان ليظهر بأبعاده التاريخية والعلائقية والهوياتية المشكلة للمكان الأنثروبولوجي، ويزيد تعقيداً عند الأخذ بالاعتبار معطى الحداثة.

فيما يتعلق بشكل العلاقة بين المكان وتاريخيته تبين أن البعد التاريخي للمكان يقوم على الوصل بين أبعاد الزمن الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل، ويتسم هذا الاتصال بطبيعة أنثروبولوجية أي يعبر عنها بشكل مادي ورمزي، حيث يعبر البعد المادي عن أن الإنسان كان موجوداً في المكان وبقاء أثره يؤكد على اتصال الماضي بالحاضر؛ فليس التاريخ هو نقل للخبرات من الماضي إلى الحاضر بل تأكيد على أن التاريخ يهتم بالإنسان. كذلك التاريخية أيضاً تنتج المعاني والرموز التي تشير إلى ما يدل على الجانب الثقافي – الاجتماعي- والنفسي في حياة الإنسان. لذا ظهر الفضاء الهجين الذي تخلق فيه مجموعة من المفاهيم التي تشير إلى الما بعد العادي بذلك انتقل المكان من الاتصال العميق إلى الاتصال السطحي الذي سهل الدخول والتخلي، في عالم الحداثة/ عالم اللحظة الراهنة المؤقتة، عالم اللامكنة التي تظهر وتذوب

بسرعة بعكس عالم الأماكن المتين الصلب ذو الارتباط الإنساني التفاعلي العميق، حيث أصبحت الأمكنة فضاءات بينية لم ينتهي فيها القديم ولم تتشكل بعد السرديات المكانية الجديدة بشكل كامل.

أما بالنسبة إلى التغيرات التي تطرأ على العلاقات في المكان فإن أهم ما يميزها هو التفاعل بين الأطراف التي تعيش في المكان. كما يرتبطون جميعهم بالظروف العامة المحيطة فتكتسب هذه التفاعلية سمة الحركية. مما يشير إلى الجانب الدينامي في العلاقة مع/ في المكان. والتغير الذي ينتج عن هذه الحركية يكون مختلف الشدة (سرعةً وبطء)، ويختلف اتجاه ذلك التغير (إيجاباً أو سلباً). ومع الأخذ بالاعتبار عامل الحداثة بما يحتويه من آليات وأدوات أصبح تغير العلاقات المكانية سريعاً. فانتقلت حياة الأفراد إلى اللامكان مؤدية إلى تغير مهم في عمق التفاعل العلائقي ونقله إلى الصلات الشبكية. هذا بدوره نوع من التشكل الثقافي الجديد الذي يعيد تشكيل العلاقة مع الآخر فرداً أو جماعةً من جهة، والعلاقة مع المكان الفيزيائي من جهة ثانية، واللامكان من جهة ثالثة. هو عصر الشبكات الذي يعيش فيه الفرد كمتلقي ومستقبل بعيداً عن أي اعتبارات قيمة أو إنسانية كان يزخر بها المجتمع. لذلك تم الانتقال من التمرکز الإنساني إلى التمرکز التقني مما غيّر علاقتنا بالزمن والمكان والأشياء والأفراد. أصبحت الهواتف هي شريكنا للدود والذكي (يحدد الوقت ودرجة الحرارة ولينبي الأعمال نحفظ به الأجندات والمواعيد، والاتصال بالآخرين في العمل وفي العلاقات الاجتماعية "أسرة، صداقة، حب، عمل").

فيما يخص سؤال الهوية بين المكان واللامكان فإنه يرتبط ببعدي المكان التاريخي والعلائقي، فالهجنة المكانية بين الأمكنة واللاممكنة التاريخية والعلائقية سينتج هجنة هوياتية، خاصة أن التكوين الهوياتي في الأمكنة واللاممكنة هو عبارة عن تكوين مركب ومعقد بين العام والخاص والعالي. لتصبح الهوية الحالية المتشكلة بين المكان واللامكان هوية خلاقية/بينية هجينة. فلا يتخذ العالم الحالي شكلاً واحداً "تقليدي بالمطلق أو حدائي بالمطلق" والواقع الهوياتي يتشكل في هذا المكان/اللامكان وفق تاريخيته وعلاقاته، وبما هو تشكل يقف على الحدود فإن الهوية لا تنفصل عن آلية تشكل هذا الواقع المتأرجح بين العمق والسطحية، الصلابة والسيولة، الثقة واللايقين، الالتزامات والانفكاك عن كل قيود.

أخيراً إن للمكان بعد إنساني مهم عبر التفاعل معه وبه. ومع الإفراط في الحداثة، أخذ المكان الذي نعرفه يتغير ويتحول شيئاً فشيئاً إلى اللامكان، وأخذت أبعاد المكان الأنثروبولوجي التي افترضها أوجيه تميل إلى اللاتبات. بحيث تكونت فضاءات هجينة زمانياً على شكل متصل ثقافي (وإن كان لا يخلو من بعض الانقطاعات أحياناً) كنقطة ارتباط بين الماضي والحاضر والمستقبل. وقد اكتسبت هذه الفضاءات تعقيداً مركباً من التداخل والسرعة مشكلةً تاريخيتها، وهوياتها، وعلاقاتها الإشكالية. فأنثروبولوجية المكان تغيرت كونه لم يعد مكاناً للوصل فقط، فالوصل في اللاممكنة هو اتصال افتراضي

منفصلاً عن المكان الحقيقي. أي أصبحت العلاقات الإنسانية تتراوح بين المكان واللامكان وصلاً وفصلاً، فالمكان الأنثروبولوجي أضحي مكاناً بينياً بين صلابة المكان وسيولته.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو رحمة، أماني (2020) *الكورونا والشك المشروع*. صفحة فيس بوك بعد ما بعد الحادثة. تاريخ زيارة الموقع 04، 12، 2020 من <https://www.facebook.com/amaniaburahma/posts/3727255467349512>
- إجي، ميشال. (2019). *أنثروبولوجيا المدينة*. ترجمة: سعيد بلمبخوت، الرياض: دار الفیصل الثقافية.
- اسمن، يان. (2003). *الذاكرة الحضارية - الكتابة والذاكرة والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى*، الطبعة الأولى. ترجمة: عبد الحليم عبد الغني رجب، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- إلياس، نوربرت. (2014). *مجتمع الأفراد*، الطبعة الأولى. ترجمة: هاني صالح، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- أوجيه، مارك. (2018). *اللاأمكنة - مدخل إلى أنثروبولوجيا الحادثة المفردة*، الطبعة الأولى. ترجمة: ميساء السيوفي، المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- بابا، هومي. ك. (1994). *موقع الثقافة*، الطبعة الأولى. ترجمة: ثائر ديب، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- باومان، زيجمونت. (2016). *الحب السائل - عن هشاشة الروابط الإنسانية*، الطبعة الأولى. ترجمة: حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- بليج، هارم دو. (2018). *سلطة المكان - المشهد الطبيعي الوعر للجغرافيا والمصير والعولمة*. ترجمة: معين الإمام، الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية.
- بن حمزة، حسين (2020). *مكاني الأول - شهادة مريد البرغوثي*. موقع ضفة ثالثة. تاريخ زيارة الموقع 11، 06، 2021 من <https://www.palestineforum.net>
- بيات، آصف. (2014). *الحياة سياسة - كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط*، الطبعة الأولى. ترجمة: أحمد زايد، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- بيك، أولريش. (2013). *مجتمع المخاطر العالمي - بحثاً عن الأمان المفقود*، الطبعة الأولى. ترجمة: علا عادل وهند إبراهيم وبسنت حسن، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- تورين، آلان. (2020). *فيروس كورونا جعلنا نعيش اللأمعنى في بيوتنا وستكون هناك كوارث أخرى*. ترجمة: توفيق السليمان، موقع موبا برس. تاريخ زيارة الموقع 09، 04، 2020 من <https://akhbarmouwataana.com>
- جدنز، أنتوني. (2003). *عالم جامح - كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا*، الطبعة الأولى. ترجمة: عباس كاظم وحسن ناظم، بيروت: المركز الثقافي العربي.

- جوردون، إريك وسيلفا أديانا دي سوزا إي. (2018). *المكانة الرقمية- أهمية الموقع في عالم متشابك*. ترجمة: محمد حامد درويش، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي.
- الحمد، مناف. (2021). *الهوية المصنوعة*. مركز حرمون للدراسات المعاصرة.
- الخواجة، محمد ياسر والدريبي حسين. (2010). *المعجم الموجز في علم الاجتماع*. الطبعة الأولى. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.
- ساردار، ضياء الدين. (2018). *الزمن ما بعد العادية- نموذج معرفي جديد في الدراسات المستقبلية*. ترجمة: محمد العربي، مكتبة الاسكندرية.
- سعيد، سامر. (2020). *الذاكرة وأثرها على البنية المعمارية والاجتماعية للمدن*. مجلة جامعة تشرين: سلسلة العلوم الهندسية، 42(3).
- سميث، شارلوت سيمور. (2009). *موسوعة علم الإنسان- المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية*. الطبعة الثانية. ترجمة: علياء شكري وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- سويلي، منى. (2014). *التغير الثقافي في الريف السوري- دراسة أنثروبولوجية في إحدى قرى محافظة حلب* (اطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة عين شمس، القاهرة.
- سويلي، منى. (2018). *التحولات الاجتماعية والثقافية في زمن الربيع العربي- تحليل ثقافي*. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- عباس، ثامر. (2014). *أماكن الذاكرة وسوسيولوجيا المعاش*. موقع كتاب. تاريخ زيارة الموقع 2014.08.04 من <https://kitabab.com>
- غاديس، جون لويس. (2016). *المشهد التاريخي- كيف يرسم المؤرخون خارطة الحاضر*. الطبعة الأولى. ترجمة: شكري مجاهد، قطر: منتدى العلاقات العربية والدولية.
- غودار، إلزا. (2019). *أنا أوسيلفي إذن أنا موجود- تحولات أنا في العصر الافتراضي*. الطبعة الأولى. ترجمة: سعيد بنكراد، الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب.
- غودوليه، مورييس. (2015). *جماعة- مجتمع- ثقافة- مفاتيح ثلاثة لفهم الهويات المتصارعة*. ترجمة: زهرة جابر، عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 3(12).
- كوثراني، وجيه. (2012) مارك بلوخ- من فكرة المجتمعات الحزينة إلى التأريخ لأزمة التحول وأزمته. القاهرة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- معلوف، أمين. (1999). *الهويات القاتلة- قراءات في الانتماء والعولمة*. الطبعة الأولى. ترجمة: نبيل محسن، دمشق: دار ورد.

- منصور، مرقومة، (2021). *التاريخ عند مارك بلوك والمنهج السوسيو-أنثروبولوجي*. موقع أرنتروبوس. تاريخ زيارة الموقع 14، 02، 2021 من <https://www.aranthropos.com>
- وينكن، إيف. (2018). *أنثروبولوجيا التواصل- من النظرية إلى ميدان البحث*. ترجمة: خالد عمراني، المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- Kizilhan, T., & Kizilhan, S. B. (2016). The rise of the network society- The information age: economy, society, and culture. *Contemporary Educational Technology*, 7(3), 277-280.
- Najafi, M., & Bin Mohd Shariff, M. (2011). The concept of place and sense of place in Architectural studies. *World Academy of Science, Engineering and Technology International Journal of Social, Behavioral, Educational, Economic, Business and Industrial engineering*, 5(8), 1054-1060.